العلمانية
أسباب ظهورها وآثارها
وعوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي وأبرز دعاتها

دكتور/ بندر بن محمد الرباح
الداعية في وزارة الشؤون الإسلامية

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

فإنه لما كان المسلمون يجمعهم كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتجمعهم سنة رسوله ﷺ كانوا أمة واحدة، قوية وعزيزة ورائدة، ولكن لما اتصلت هذه الأمة بالأمم الأخرى ذات الأنماط الحضارية المختلفة، تأثرت هذه الأمة بكيد أعدائها من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان والملاحدة، حتى أصبح المتأثرون بفكر أولئك الأعداء أمة داخل الأمة الإسلامية.

وما لذلك من سبب سوى البعد عن منهج الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، هداية ونورًا، وإخراجًا للناس من الظلمات إلى النور.

وهذا البحث يتناول جانبًا مهما وخطيرًا من جوانب هذا التيار الفكري، الذي وفد على الأمة الإسلامية، واستهدف إبعادها عن عقيدتها، وربطها بالفكر المهيمن في هذا العصر البعيد عن هدي الله، ومنهج رسوله ﷺ.

وهذا التيار الذي نحن بصدد الحديث عنه، هو تيار (العلمانية) ذلك المصطلح الغربي الذي يوحي ظاهره أن طريقة الحياة التي يدعو إليها تعتمد على العلم، وتتخذه سندًا لها؛ ليخدع الناس بصواب الفكرة واستقامتها، حتى انطلى الأمر على بعض السذج وأدعياء العلم، فقبلوا المذهب منبهرين بشعاره، وقد أوصلهم ذلك إلى البعد عن الدين بعدًا واضحًا.

الفصل الأول
تعريف العلمانية وأسباب ظهورها وآثارها في الغرب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العلمانية:

العلمانية تبدو لأول وهلة للناظر فيها كلمة عربية مشتقة من العلم، بل هي مبالغة تشير إلى الاهتمام بالعلم والعلماء، ولا غبار على هذا – لو كانت على ظاهرها – من الوجهة الإسلامية، حيث اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء، ولكنها حينما تكون وسيلة من وسائل الغرب لتغريب المسلمين فإن الأمر يصبح غير ذلك، إذ لا تبقى على ظاهرها لفظًا ومعنى، وإنما تكون ترجمة عربية للفظ أجنبي له مدلوله الخاص؛ ولذلك أجمع الكثير من رواد الفكر الإسلامي على أن (العلمانية) ترجمة للكلمة الإنجليزية (سيكولاريتي Secularity) أي لا ديني، أو غير عَقَدِي، فنستنتج من ذلك أن العلمانية تعني اللادينية[١].

جاء في معجم ألفاظ العقيدة: أن العلمانية تأتي لمعان منها: العالمية، ومنها اللادينية، ومنها فصل الدين عن الدولة وعن الحياة.

وكلمة العلمانية اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة التي حاربت التطور باسم الدين[٢].

وهي على هذا كلمة مضللة خادعة، ابتدعها الغرب لصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة، كما تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة العلمانية: هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا فقط، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، والتأمل في الله واليوم الآخر.

وفي معجم ويبستر الشهير: العلمانية: «رؤية للحياة أو أي أمر محدد، يعتمد أساسًا على أنه يجب استبعاد الدين، وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها»، ومن ثم فهي نظام أخلاقي اجتماعي يعتمد على قانون يقول: «إن المستويات الأخلاقية والسلوكيات

---

(١) صور من مواقف العلمانية في محاربة الإسلام عن طريق التعليم. حسن ملا عثمان ص١٧٢-١٧٣، بحث مقدم إلى مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض, جامعة الإمام – العدد السابع ١٤٠٣هـ.

(٢) معجم ألفاظ العقيدة, ص٢٨٦.

الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة، والرفاهية الاجتماعية، دون الرجوع إلى الدين»[1].

وهي من خلال النصين السابقين دعوة صريحة إلى نبذ الدين، والاهتمام بالحياة وإسقاط الدين من الحسبان، وإقامة الحياة على غير الدين، سواء بالنسبة للأمة والفرد، وآن للأمة أن تعمل ما تشاء، وللفرد أن يعمل ما يشاء دون التفات لأوامر الدين ونواهيه، حسب ما يمليه الواقع المادي سواء من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية[2]، والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو «فصل الدين عن الدولة»، وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد، وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، ولو قيل: إنها «فصل الدين عن الحياة» لكان أصوب؛ ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو: «إقامة الحياة على غير الدين»، سواء بالنسبة للأمة وللفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود: فبعضها تسمح به، كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية، وتسمي منهجها (العلمانية المعتدلة)، أي أنها مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين، وذلك مقابل ما يسمى (العلمانية المتطرفة) أي المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية ومشاكلها.

ومن هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم، وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي، وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية...الخ.

المبحث الثاني: أسباب ظهور العلمانية في الغرب:

هناك أسباب كثيرة أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب كان من أبرز هذه الأسباب ما يلي:

أولاً: طغيان رجال الكنيسة:

لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ويهيمنون بها على الأمة الساذجة، ثم

(١) جذور العلمانية. د. السيد أحمد فرج, ص١٠٥.

(٢) العلمانية نشأتها وتطورها، سفر بن عبد الرحمن الحوالي, ص٢٤.

اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى لو كانت أمورًا تتصل بحقائق كونية تثبتها التجارب والمشاهد العلمية.

وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وفرضت على عقول الناس وأموالهم وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها على الإطلاق، وسنعرض إلى شيء من ذلك بإيجاز:

أ – الطغيان الديني:

إنَّ الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، وأن عيسى عبد الله ورسوله، قد تحول في عقيدة النصارى إلى إيمان بإله مثلث يتجسد، أو يحلُّ بالإنسان ذي ثلاثة أقانيم (الأب والابن ورح القدس).

وذلك أنه منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م والكنيسة تمارس الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صوره، ففرضت بطغيانها هذا عقيدة التثليث قهرًا، وحرّمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين، وأذاقتهم صنوف التعذيب، وألوان النكال.

وتتفق المصادر على أن اليد الطولى في تحريف العقيدة النصرانية تعود إلى بولس (شاؤل) اليهودي، وهو الذي أثار موضوع ألوهية المسيح لأول مرة مدعيًا أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

أما العبادات فقد دخلت فيها أوضاع بشرية كنسية مبتدعة، وهذه المبتدعات حمّلها النصارى مفاهيم غيبية، وفسّروها بأن لها أسرارًا مقدسة، وجعلوا لها طقوسًا تُمارس في مناسباتها، ويجب احترامها والتقيد بها.

وأما الأحكام التشريعية فمعظمها أوامر وقرارات كنسية بابوية، ما أنزل الله بها من سلطان، وهي تُحلّلُ وتُحرِّم من غير أن يكون لها مستند من الشرع.

ونصّبت الكنيسة نفسها عن طريق المجامع المقدسة (إلهًا) يُحلُّ ويُحرِّمُ، ينسخُ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي كائنًا من كان، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته؛ لأنه كافر.

ومن أمثلة الأحكام التي غيرتها الكنيسة الختان حيث إنه كان واجبًا فأصبح حرامًا، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة، وكانت التماثيل شركًا ووثنية فأصبحت تعبيرًا عن التقوى، وكان زواج رجال الدين حلالاً فأصبح محظورًا، وكان أخذ الأموال من

الأتباع منكرًا فأصبحت الضرائب الكنسية فرضًا لازمًا، وأمورٌ كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس، دون أن يكون لديها من الله سلطان، أو ترى في ذلك حرجًا.

وأضافت الكنيسة إلى عقيدة التثليث عقائد وآراء أخرى تحكم البديهة باستحالتها، ولكن لا مناص من الإيمان بها، والإقرار بشرعيتها على الصورة التي توافق هوى الكنيسة.

ومن أمثلة ذلك التعميد، وتقديس الصليب، وحمله، وعقيدة الخطيئة الموروثة، وصكوك الغفران، والحرمان وحياة الرهبنة[1]، إلى غير ذلك من العقائد والمبتدعات النصرانية التي فرضتها الكنيسة على أتباعها، وكل هذه العقائد واضح بطلانها بحمد الله في العقيدة الإسلامية، وإنَّ ديناً من هذا القبيل هو مقطوع الصلة بما أنزل الله تعالى من الحق، وغير صالح لأن يكون له سلطان على العقول البشرية.

ب- الطغيان المالي:

إن المتأمل في الأناجيل - على الرغم من تحريفها - يجد أنها لم تنه عن شيء كنهيها عن اقتناء الثروة والمال.

جاء في إنجيل متى: «لا تقتنوا ذهبًا، ولا فضةً، ولا نحاسًا، في مناطقكم»[2].

وجاء في إنجيل مرقص: «مرور جملٍ من ثقب إبرةٍ أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله»[3].

إلا أن القرون التالية قد شهدت مفارقة عجيبة بين مفهوم الكنيسة عن الدنيا وبين واقعها العملي، حتى صار جمع المال والاستكثار من الثروات غاية لديهم، فتهالك رجال الدين على جمع المال، والإسراف والبذخ، والانغماس في الشهوات والملذات.

ويمكن إيجاز مظاهر الطغيان الكَنَسِيّ في هذا المجال فيما يلي:

١-الأملاك الإقطاعية:

يقول ديورانت: «أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا، فقد كان دير (فلدا) مثلاً يمتلك (١٥٠٠٠) قصر صغير، وكان (الكوين

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص ١٢٨-١٣٢.

(٢) متى ١٠ :١٠-١١.

(٣) مرقص ١٠:٢٢.

فيتور) أحد رجال الدين سيدًا لعشرين ألفًا من أرقاء الأرض، وكانت أملاكها المادية، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين، ومصدرًا للجدل والعنف بين الأباطرة والبابوات».

٢-الأوقاف:

كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافًا للكنيسة، بدعوى أنها تصرف عائداتها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية، إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق، وقد قال المصلح الكنسي (ويكلف) – وهو من أوائل المصلحين –: «إن الكنيسة تملك أراضي إنجلترا، وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي، وطالب بإلغاء هذه الأوقاف، واتهم رجال الدين بأنهم (أتباع قياصرة لا أتباع الله)».

٣-العشور:

فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة (العشور) وبفضلها كانت الكنيسة تضمن حصولها على عشر ما تغله الأراضي الزراعية والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين، ولم يكن في وسع أحد أن يرفض شيئًا من ذلك، فالشعب خاضع تلقائيًّا لسطوتها.

٤- الهبات والعطايا:

وكانت الكنيسة تحظى بالكثير من الهبات التي يقدمها الأثرياء الإقطاعيون للتملق والرياء، أو يهبها البعض بدافع الإحسان والصدقة، وقد قويت هذه الدوافع بعد مهزلة صكوك الغفران، إذ انهالت التبرعات على الكنيسة، وتضخمت ثروات رجال الدين تضخمًا كبيرًا.

هذا ولا ننسى المواسم المقدسة والمهرجانات الكنيسية التي كانت تدرُّ الأموال الطائلة على رجال الكنيسة؛ فمثلاً في سنة١٣٠٠م عقد مهرجان لليوبيل واجتمع له جمهور حاشد من الحجاج في روما، بلغ من انهيال المال إلى خزائن البابوية أن ظل موظفان يجمعان بالمجاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطرس.

٥- العمل المجاني (السخرة):

لم تقنع الكنيسة بامتلاك الإقطاعيات برقيقها وما يملكه بعض رجال الدين من آلاف الأرقاء، بل أرغمت أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها، ولا سيما بناء الكنائس والأضرحة، وكان على الناس أن يرضخوا لأوامرها، ويعملوا بالمجان لمصلحتها مدة محدودة، هي في الغالب يَوْمٌ واحِدٌ في الأسبوع، ولا ينالون مقابل ذلك جزاءً ولا شكورا[1].

وبهذا يتبين لنا أن الانحراف والفساد الديني والاجتماعي قد وصل على يد الكنيسة النصرانية ورجالها وتعاليمها المزيفة إلى حد لم يعد يتحمله الناس، ولا تطيقه فطرة البشر، حيث شقيت أوروبا برجال الدين الدجالين، وبتسلطهم ونفوذهم باسم الدين، وباسم الرب.

ج-الطغيان السياسي:

أما الطغيان السياسي فقد بلغت سلطة البابا الدينية المهيمنة على ذوي السلطة الإدارية والسياسية أوجها، حتى كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وأن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم، ولا يستجيبون لأوامر الخلع البابوية.

ثانيًا: الصراع بين الكنيسة والعلم:

الصراع بين الدين والعلم مشكلة من أعمق وأعقد المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي، إن لم تكن أعمقها على الإطلاق.

وذلك أن الكنيسة كانت هي صاحبة السلطة طوال القرون الوسطى في أوروبا حتى قامت النهضة العلمية هناك.

وفي هذه الأثناء وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين، واستمرت طوال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الميلادي، واحتك الصليبيون خلالها بالمسلمين ووقفوا عن كثب على صفات الإسلام وروعته في جميع مجالات العلوم والفنون، في الأندلس، والشمال الإفريقي، وصقلية وغيرها، حيث كانت المدارس والجامعات المتعددة في كل مكان في بلاد المسلمين، يؤمها طلاب العلم ومنهم الأوروبيون الذين وفدوا يتعلمون من الأساتذة المسلمين، وترجمت بعض الكتب إلى

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص ١٣٨-١٤٣.

اللغة الإنجليزية، فلما عاد أولئك الأوروبيون الذين تأثروا بنور الإسلام وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، ووسيلة للدجل والتحكم الظالم في عباد الله، أخذ هؤلاء يقاومون الكنيسة ودينها المزيف وأعلنوا كشوفاتهم العلمية والجغرافية، والعلوم الطبيعية التي تحرمها الكنيسة، وعند ذلك قامت قيامة من يُسمون لدى النصارى برجال الدين، واحتدم الصراع، ومكث قروناً بين رجال العلم ورجال الكنيسة، فأخذوا يُكفّرون ويقتلون، ويحرقون ويشردون المكتشفين، وأنشأت الكنيسة محاكم للتفتيش لملاحقة حملة الأفكار المخالفة لآرائها وأفكارها.

ومكث هذا الصراع عدة قرون، وانتهى بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في نظم الحياة وشئون الدولة، فالدين –بمعنًى أوضح – مهمته داخل جدران الكنيسة فقط ولا داعي لوجوده خارجها، ويكون لرجال الدولة والعلم إدارة شئون الحياة بالأسلوب الذي يناسبهم سواء أكان متفقاً مع مبادئ الدين أم لا!![1].

وبما أن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، فإن الأولى أن نسمي ما حدث في أوروبا صراعًا بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم، أو بين رجال الدين والعلماء.

ونظرًا لأن الصراع الدامي الطويل قد انتهى بأول انتصار حاسم لأعداء الكنيسة أثناء الثورة الفرنسية فإننا سنتناول ذلك بإيجاز.

ثالثًا: الثورة الفرنسية:

ونتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف، ووقوفها ضد مطالب الناس، دبّر اليهود مكايدهم لاستغلال الثورة النفسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، ولا سيما الشعب الفرنسي، فأعدّوا الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الدين النصراني المحرف الذي حارب العلم عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة وإبعاد رجالها عن التحكم الظالم.

ووضع اليهود شعارًا مثلثًا لهذه الثورة هو (الحرية، والمساواة، والإخاء).

أما أصل مخططات هذه الثورة فقد وضعها جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود، وقد استخدموا الثريَّ المرابي الكبير (روتشيلد الأول)، ثم ابنه (ناتان روتشيلد) في دعوة أغنياء اليهود في العالم إليها.

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص١٣٣-١٣٦ .

ومما يدل على أن الثورة الفرنسية هي من صنع اليهود وتدبيرهم ما تتبجح به بروتوكولاتهم فتقول: «تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى)، إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيدًا؛ لأنها من صنع أيدينا».

وتقول: «كذلك كنا قديمًا أول من صاح في الناس (الحرية، والمساواة، والإخاء) كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر»

وتمخضت الثورة عن نتائج بالغة الخطورة، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية، لا دينية، تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب – وليس باسم الله – وعلى حرية التدين بدلاً من الكثلكة، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة.

وقامت الثورة بأعمال غريبة على عصرها فقد حلت الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال الكنيسة، وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الدينية هذه المرة علناً وبشدة...

وقد سرت الثورة إلى كل الغرب؛ لأنه لا يدين بالإسلام دين العلم والحق والعدل.

رابعًا: نظرية التطور:

في سنة ١٨٥٩م نشر الباحث الإنجليزي (تشارلز داروين) كتابه (أصل الأنواع)[١] الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وقد جعلت نظريته كون الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها، فأحدث ذلك ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان.

وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية، ونشر الإلحاد في أوروبا، وقد استغلها اليهود استغلالاً بشعًا.

وقد قال أحد العلماء الغربيين في النظرية الداروينية: «بأنَّها أبوها الكفر، وأمها القذارة»[٢].

---

(١) ترجمه للعربية إسماعيل مظهر.

(٢) مذهب النشوء والارتقاء ص ٢٣ وما بعدها.

والنظرية الداروينية باطلة بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ، وباطلة بجميع الكتب السماوية، وباطلة بإجماع المسلمين في كل زمان ومكان، وباطلة بالعقل الصحيح، وبالفطرة السليمة من الشذوذ والانحراف.

فبنو آدم وجميع الحيوانات والطيور، وجميع ما في البراري والبحار، من آلاف السنين وهي على ما هي عليه لم تتغير أشكالها ولا أسماؤها.

ومذهب داروين باطل؛ لعدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع من مخلوقات الله، فمن الذي عاش آلاف السنين حتى شاهد تغير الإنسان من خلية إلى حشرة إلى حيوان إلى قرد كما يزعم داروين، وهو الذي لم يعش سوى أقل من ٧٥ سنة.

قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

والنظرية باطلة بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فالله تعالى إنما أهبط من الجنة آدميًا يعقل، ولم يهبط حشرة ثم صارت حيواناً لا يعقل ثم صار قردًا(١).

خامسًا: دور اليهود:

وليس غريبًا بعد الذي تقدم – كما جاء في الثورة الفرنسية – أن يكون اليهود وراء الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وذلك من أجل السيطرة، ومن أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

هذه أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور هذا الفكر الجاهلي، والذي هيمن على أوروبا كلها، وأصبح يحمل شعارات الإلحاد والفوضى الأخلاقية عنادًا للكنيسة ورجالها.

والحق أَنَّ هذه الأسباب وتلك الظروف ليست مبررة لابتعاد النصارى وغيرهم عن الدين.

وفكرة أن العلم لا صلة له بالدين وأن الدين يحارب العلم، هي الفكرة السائدة في الغرب طيلة القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين.

(١) وللشيخ صالح البليهي – رحمه الله – رسالة في الرد على هذه النظرية، ذكر فيها كثيراً من الأدلة النقلية والعقلية على بطلانها فلتراجع، وينظر أيضاً نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي د/ محمد العرمابي ص٤٨ بعدها.

ومع إطلالة القرن العشرين بدأت بوادر التفاهم والمصالحة بين رجال الكنيسة والاتجاه الجاهلي، وانتهت بتنازلات كبيرة من الطرفين إلى أن دخلت الأحزاب الدينية النصرانية مجالات السياسة في بعض الدول الغربية.

المبحث الثالث: آثار العلمانية في الغرب:

على الرغم من أن الحضارة العلمانية الغربية قد قدمت للإنسان كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادي، إلا أنها فشلت في أن تقدم له شيئًا واحدًا وهو السعادة والطمأنينة والسكينة، بل العكس قدمت للإنسان هناك مزيدًا من التعاسة والقلق، والبؤس والتمزق والاكتئاب، وذلك لأن السعادة والسكينة أمور تتعلق بالروح، والروح لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، أي جعل الطمأنينة والوقار في قلوب المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت، زادهم إيمانًا مع إيمانهم.

وكيف تنـــزل السكينة في قلوب أناس أقاموا حضارتهم على غير أساس من الإيمان بالله تعالى وشرعه؟

بل الذي يحصل لهم هو مزيد من القلق والتعاسة، والضيق والخوف، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾: يقول: ((يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به)).

وبهذا يتبين لنا حالة القلق الرهيب التي تعيشها المجتمعات التي تسير على غير هدى الله وشرعه، على الرغم من تقدمها المادي، ووصولها إلى أرقى أساليب التقنية الحديثة.

وهذا ما أيده الواقع الملموس في البلاد التي ابتعدت عن شرع الله، فالإنسان إنما يكون في حالة طيبة نفسيًّا وبدنيًّا عندما تقوى صلته بالله تعالى، ويلتزم بأوامره ويجتنب نواهيه.

ولذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: «في القلب شعث – أي تمزق وتفرق – لا يلمهُ إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يُطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدًا»(١).

إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمعات الغربية كان – ولا يزال – من أهم الأسباب التي أدت إلى الإفلاس والحيرة والضياع.

وإن مما نتج عن ذلك مما هو مشاهد وملموس ما يلي:

١- الولوغ والانغماس في المشروبات الروحية، والإدمان على المخدرات.

٢- الأمراض العصبية والنفسية.

٣- الجرائم البشعة بمختلف أنواعها كالسرقات، والاغتصاب، والشذوذ الجنسي، والقتل وغيرها.

٤- تأجيج الغرائز الجنسية بين الجنسين.

٥- انتشار الأمراض المخيفة كالزهري، والسيلان، وأخيرًا يبتلي الله تلك المجتمعات بالطاعون الجديد وهو مرض (الإيدز).

٦- الانتحار.

إن الغرب يعيش حياة الضنك والقلق، فلا طمأنينة له ولا راحة، ولا انشراح لصدور أهله، بل صدورهم في ضيق وقلق وحيرة، وما ذلك إلا لضلالهم وبعدهم عن الله، وإن تنعموا ظاهرًا في الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

(١) مدارج السالكين ج٣/ص١٦٤.

الفصل الثاني

في عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي وأبرز دعاتها وآثارها السيئة على العالم الإسلامي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي:

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ زمن طويل، لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، حين طبقت –على مستوى الدولة– على أنقاض الخلافة العثمانية، ثم سرت إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي، وكانت هناك عدة عوامل رئيسة ساعدت على ظهور انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي أهمها:

أولاً: انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة:

بسب انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، كثرت البدع والخرافات والشعوذة والأهواء، وقلَّ الفقه في الدين بينهم، ومن انحراف بعض المسلمين عن عقيدتهم ظهور الفرق الصوفية بينهم، وكان من الأخطاء الأساسية في الفكر الصوفي النظرة العدائية إلى الحياة الدنيا، تلك التي يبدو أنها متأثرة بالفكر البوذي والفلسفات المنحرفة.

وحدث أن أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأوراد، وهذا الخلط الصوفي الأحمق يعتبر أول تصدع أصاب كيان الأمة الإسلامية، وهذا الانحراف العقدي وقع قبل احتكاك الغرب اللاديني بالشرق، بل قبل قيام الدولة العثمانية، وفي آخر عهد العثمانيين ازداد الأمر سوءًا، وتطورت الانحرافات حتى توهم الناس أن العبادة هي ما يأمر به المشايخ والأولياء من البدع، ووقعت الأمة في شرك حقيقي، وذلك بما يمارسه الناس من بدع الأضرحة والمشاهد والمزارات، وتقديس الموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضرر، ووصل الأمر إلى حالة مزرية جدًّا حين كانت جيوش المستعمرين تقتحم المدن الإسلامية، والمسلمون يستصرخون بالأسياد أو الأولياء الذين قد مضى على وفاتهم مئات السنين.

ومن ذلك قول بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر .....لوذوا بقبر أبي عمر

وقال:

عوذوا بقبر أبي عمر.....ينجيكم من الضّرر[1]

ولذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله – عنهم:

«وأما الجهاد فالغالب عليهم أنهم أبعد من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحبة والتعظيم لأمر الله، والغضب والغيرة لمحارم الله، ما لا يوجد فيهم، حتى إنَّ كثيرًا منهم يعدون ذلك – أي الجهاد – نقصًا في طريق الله وعيبًا»[2].

ثانيًا: الاستعمار للعالم الإسلامي:

لقد تعرض العالم الإسلامي لهجمات قوية من قبل أعدائه عبر عصور التاريخ، ولكن لما كان المسلمون متمسكين بدينهم، وأكثر استعدادًا للجهاد في سبيل الله، استطاعوا أن يردوا حملات أعدائهم، ولكن لما ضعف المسلمون وكثرت فيهم البدع والخرافات، واجتالتهم الطرق الصوفية، ولجأ بعضهم إلى التعلق بالقبور والتمسح بها، والذبح لها ودعاء الموتى، واستسلم بعضهم إلى ملذات الدنيا، والبعض الآخر بدأ يتشبث بالأفكار الوافدة، وقعدوا عن الجهاد، بعد ذلك انقض عليهم الأعداء من كل جانب ولم تنته الحربان العالميتان إلا وكثير من البلدان الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار، ولم يكن مخطط الاستعمار أن يستغل خيرات تلك البلاد ويستعبد سكانها فحسب – كما يظن البعض –، بل كان أهم مخطّطاته محاربة الإسلام، وتجهيل المسلمين بحقيقة دينهم بجميع الوسائل الممكنة الظاهرة والخفية.

وسوف أذكر أهم الوسائل التي استعملها الاستعمار في محاربة المسلمين:

أ- نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع، مع السعي في التخفيف من الثقافة العربية الإسلامية، أو القضاء عليها إن أمكن ذلك، ولو مع طول الزمن.

ب- تشجيع مدارس التبشير المسيحي، وتدوين مناهجها؛ لكي ينصرف أبناء المسلمين إليها تاركين مدارسهم الإسلامية، وقد نجح في ذلك كله.

(١) تغريب العالم الإسلامي سعيد القحطاني ص ١٢٢.

(٢) الاستقامة ج١/ص٢٦٨.

ج- تشجيع الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة كالقاديانية، وبعض الطوائف الصوفية؛ ليتمكن من ضرب الإسلام ودعوته من الداخل بأيد تنتمي إليه، تلهج بذكره، وهذا أخطر سلاح استعمله الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

هـ- اعتبار اللغة الإنجليزية لغة رسمية في كثير من البلدان العربية والإسلامية؛ مما جعل شباب المسلمين يقبلون على هذه اللغة في الوقت الذي يجهلون فيه لغتهم الأصلية، بل استطاع الاستعمار أن يحمل الشباب السذج على كراهية الإسلام وأهله بدعوة أنه دين تعصب، ودين تأخر، وانطلى هذا الكلام على شباب المسلمين؛ لجهلهم حقيقته فضلوا.

وبسبب الاستعمار والتبشير انتشرت المعتقدات العلمانية في العالم الإسلامي.

وقد حرص الغرب منذ وطئت أقدامه أراضي المسلمين على نشر العلمانية بأكثر من سبيل، وكان أهم مجالات نشرها ووسائلها فيما يلي:

١- في التعليم، وله في ذلك أكثر من سبيل أهمها:

(أ) حصر التعليم الديني، وحصاره ماديًّا ومعنويًّا.

(ب) الابتعاث إلى الدول غير الإسلامية، وقد حقق ذلك الابتعاث نتائجه المقصودة.

(ج) نشر المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية.

(د) تمييع المناهج الإسلامية باسم التطور.

(هـ) نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم، وقد بدؤوا بها في الجامعات.

٢- في الإعلام والإعلام يخاطب الملايين من الناس ببرامجه، وأكثر هذه الملايين ساذجة تؤثر فيها الكلمة مقروءة، أو مسموعة، أو منظورة.

٣- إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق.

ومما يدل على دور الاستعمار في نقل العلمانية إلى البلدان الإسلامية أن أول عمل قام به الإنجليز في الهند هو إلغاء الشريعة الإسلامية، وأول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الإسلامية، وإحلال القانون الفرنسي محلها، وأول عمل قام به المخطط اليهودي الصليبي في تركيا هو إلغاء الشريعة الإسلامية، ثم إعلان تركيا دولة لا دينية[1].

(١) مجلة البيان عدد ١٩٥ص ٤١-٤٣.

«وأخيرًا غادر المستعمرون ديار المسلمين بعد أن خلفوا على تركتهم ورثة مخلصين؛ ليحافظوا عليها؛ ولأنهم يتمكنون من العمل في صالحهم أكثر مما يتمكنون هم بأنفسهم».

ثالثًا: الغزو الفكري:

وذلك بمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة مثل: «التغريب، التحديث أو الحداثة، التحضر، التغيير الاجتماعي، وعملت العلمانية في مجالاتها، وشقت طريقها في مجاريها».

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله –: «الغزو الفكري هو مصطلح حديث، يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى، أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة.

وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحبُّ ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

وهو داء عضال يفتك بالأمم، ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة فيها، والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه؛ ولذلك يصبح علاجها أمرًا صعبًا وإفهامها سبيل الرشد شيئًا عسيرًا...»[1].

رابعًا: المستشرقون:

لقد سلك المستشرقون طرقًا عديدة في الوصول إلى أغراضهم ومنها:

١- التدريس الجامعي.

٢- جمع المخطوطات العربية وفهرستها.

٣- التحقيق والنشر والترجمة.

٤- التأليف في شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الاشتراك في بعض المجامع اللغوية، والمجامع العلمية في العالم الإسلامي.

والتأليف من أخطر وسائلهم، حيث ألفوا كثيرًا من الكتب التي تطعن في الإسلام.

وتتلخص جهود المستشرقين في هذا المجال فيما يلي:

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز.

١- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.
٢- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.
٣- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني.
٤- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة، ويدعو إلى التخلف.
٥- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.
٦- تشويه الحضارة الإسلامية وتاريخها.
٧- تضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح.
٨- إحياء الحضارات القديمة.
٩- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب، ومحاكاته فيها.
١٠- تربية الأجيال تربية لا دينية.

وقد انتشرت هذه المعتقدات -مع الأسف- في بعض دول العالم الإسلامي[١].

خامسًا: المنصّرون:

كما أن للمستشرقين والمنصرين أهدافًا مشتركة فلهم وسائل متداخلة، ويمكن القول بأن ميدان المستشرقين الأساسي هو الثقافة والفكر، بينما يركز المنصرون جهودهم في النواحي الاجتماعية والتربوية.

وقد نقل المنصّرون العلمانية من خلال نشراتهم وكتبهم، ومن خلال التمثيليات والأفلام، ومن خلال المدارس المختلفة التي بدأت بالأجنبية، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية.

ووسائل المنصرين في هذا المجال كثيرة جدًّا نذكر منها:

١- استخدام الطب كوسيلة للتنصير.
٢- استخدام أعمال الخير والخدمات الاجتماعية: كإنشاء ملاجئ للأيتام، ومراكز رعاية اجتماعية للفقراء والمحتاجين.
٣- استخدام الطلبة وعامة الناس في التنصير.
٤- استخدام الرشوة.
٥- استخدام المكتبات والصحافة.

---

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص ٥٤٥-٥٤٩.

٦- استخدام النوادي والجمعيات.
٧- الاهتمام بالمرأة المسلمة، وذلك بمحاولة إبعادها عن عقيدتها وإغرائها بتقليد المرأة الغربية.
٨- المؤتمرات المشتركة.
٩- البعثات الخارجية.
١٠-إنشاء المحاضن والمدارس والجامعات الأجنبية.
١١-استخدام القوة أحياناً[١].

إلى غير ذلك من الأساليب التي استخدمها المنصرون في الوصول إلى غاياتهم المكشوفة؛ كبناء الكنائس، وتوزيع الأناجيل، وإقامة الندوات، والاهتمام بإفساد الريف الإسلامي-الذي يتميز عادةً بالمحافظة على القيم الإسلامية- والسيطرة على وسائل التربية والإعلام واستخدامها في سمومهم، وتوهين العقيدة الإسلامية في النفوس، مع صرف العناية إلى الأطفال، والنفاذ إلى عقولهم من خلال تلك الوسائل.

سادسًا: الأقليات غير المسلمة داخل المجتمعات الإسلامية:

وذلك كالنصارى، واليهود، والشيوعيين، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم، وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالتهم وانحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية؛ لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها، والدعاية لها، حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج، وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

سابعًا: تقدم الغرب في العلم المادي:

إن تقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة جعل كثيرين من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم، ويعزونه إلى الاتجاه الجاهلي الحديث (العلماني)، وصدَّقوا دون تفكير مزاعم الكفار أن الدين معوق للعلم، وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى تفصل الدين -الإسلام- عن الدولة والحياة، وهذا بلا شك جهل بالإسلام جنى ثماره النكدة أكثر المسلمين[٢].

(١) مجلة البيان عدد ١٩٥ص ٤٢.
(٢) مجلة البيان عدد ١٥٩ص٣٩.

ثامنًا: البعثات إلى الخارج:

إن الطلاب الذين يذهبون من أبناء المسلمين إلى الدول غير الإسلامية، ولم تكن لديهم الحصانة الكافية من عقيدتهم، إن هؤلاء من أخطر الوسائل؛ لأن كثيرًا منهم تعلقوا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وعاداته، وقد عاد هؤلاء إلى بلدانهم وهم يحملون ألقابًا علمية وضعتهم في مناصب التوجيه، ونظر الناس إليهم على أنهم قدوة؛ لأنهم وطنيون(١).

المبحث الثاني: تاريخ دخول العلمانية إلى بعض الدول الإسلامي

سوف أذكر إن شاء الله في هذا المبحث بشكل مختصر تاريخ دخول العلمانية إلى عدد من الدول الإسلامية.

١- في مصر: دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون. وقد أشار إليها الجبرتي الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها بعبارات تدور حول معنى العلمانية، وإن لم تذكر اللفظة صراحة.

أما أول من استخدم هذا المصطلح (العلمانية) فهو نصراني يدعى (اليأس بقطر) في معجم عربي فرنسي من تأليفه قال فيه: وأدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م، وكان هذا الخديوي مفتونا بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا.

٢- الهند: حتى سنة ١٧٩١م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية، ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة الإسلامية بتدبير الإنجليز، وانتهت تماما في أواسط القرن التاسع عشر.

٣- الجزائر: إلغاء الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

٤- تونس: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩٠٦م.

٥- المغرب: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩١٣م.

٦- تركيا: لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة، واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.

٧- العراق والشام: ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية، وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها.

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها, ص ٥٤٩.

المبحث الثالث: آثار العلمانية السيئة على العالم الإسلامي:

كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، وسوف أشير إلى بعض الآثار السيئة التي جنتها المجتمعات الإسلامية من تطبيق العلمانية:

١- رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المقتبسة عن أنظمة الكفار، واعتبار الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفاً ورجعية.

٢- جعل التعليم خادمًا لنشر الفكر العلماني، وذلك من خلال الطرق التالية:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية.

ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن، وتكون في آخر اليوم الدراسي، وقد لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

ج- منع تدريس نصوص معينة؛ لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم وتزييف ضلالاتهم.

د- تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه.

٣- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد. فالمسلم والنصراني، واليهودي، والشيوعي، والمجوسي، وغيرهم يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

٤- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية وذلك عن طريق:

أ- القوانين الوضعية التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها.

ب- وسائل الإعلام المختلفة التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، ونشر الرذيلة.

ج- محاربة الحجاب، وفرض السفور، والاختلاط في المدارس والجامعات، والمصالح والمؤسسات.

٥- الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس، أو اللغة، أو التاريخ، أو المكان، أو المصالح، أو المعيشة

المشتركة، أو وحدة الحياة الاقتصادية، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل الاجتماع ولــمّ الصف، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعدُّ عاملاً من عوامل التفرق والشقاق(١).

ولا شك أنَّ الفكرة القومية أو الوطنية وفدت إلى ديار المسلمين من الغرب، ولقد كان ظهور هذه الفكرة مصدر شر على جميع المسلمين.

٦- الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب، وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز، فقد قام بهذه الفكرة كثير من دعاة التضليل للأمة الإسلامية عند ضعف المسلمين وتفرقهم، حيث زعموا أن سبيل التقدم والنهضة، هو السير خلف ركاب الغربيين، والأخذ بمنهجهم وطريقتهم في كل شيء، حتى يكونوا مثلهم في الحضارة الحديثة، بخيرها وشرها، وما يحمد منها وما يُعاب.

ونتيجة لتلك الدعوات المغرضة من أدعياء الفكر، ذهب كثير من أبناء المسلمين إلى الدول الأوروبية، لإكمال تعليمهم، وغالبًا ما يتأثر هؤلاء الطلاب بعادات الغرب وأفكاره(٢).

٧- الزعم بأن الشريعة الإسلامية لا تتوافق مع الحضارة الحديثة: وهذا الزعم جاء نتيجة لاحتكاك أبناء الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية الحديثة، فظنوا - جهلاً- أن الإسلام لا يتوافق مع الحياة العصرية، ولا ينسجم مع متطلبات الإنسان في هذا العصر، بل قالوا: إن الشريعة الإسلامية هي السبب في التخلف والرجعية، وأن السبيل إلى التخلص من هذا الداء، والنهوض بالأمة إلى التقدم والحضارة هو نبذ الإسلام وتعاليمه(٣).

فهذه بعض الآثار والثمار السيئة والخبيثة التي أنتجتها العلمانية في البلاد الإسلامية التي تبنت العلمانية.

«والعلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش (كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم) ونشر الرذائل، ومحاربة الحشمة والفضيلة، والحدود الشرعية،

(١) مجلة البيان عدد ١٩٥ص ٤٢.

(٢) مجلة البيان عدد ١٩٥ص٤٢.

(٣) العلمانية نشأتها وتطورها, ص ٥٤٩.

والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضًا بحب الفساق والكفار، والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها»[1].

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة١١١.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع الذي أرجو من الله أن أكون وفقت فيه لبيان حقيقة العلمانية وما يترتب عليها من مفاسد، وما يقصد من ورائها من حرب الإسلام وأهله أود أن ألخص أهم ما اشتمل عليه هذا البحث فيما يلي:

١- إن العلمانية اصطلاح جاهلي، لا صلة له بالعلم، وإنما سماها أعداء الإسلام بذلك إمعانا منهم في التضليل والخداع، وإلا فإن عزل الدين عن العقيدة والشريعة وجميع نواحي الحياة يعني في الإسلام الكفر، والمروق من الدين، وحكم الجاهلية وتعطيل حدود الله وشرعه.

٢- إن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في أوروبا هو التحريف في أصول الدين، وتسلط رجال الكنيسة دينيًّا، واقتصاديًّا، وسياسيًّا، ولا يخفى ما لليهود من دور بارز في ذلك.

٣- إن ظروف نشأة العلمانية في أوروبا لا تنطبق على الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وذلك لأنه – بحمد الله – ليس في الإسلام تحريف في مصدر عقيدته، وليس فيه كهنوت، ولا واسطة بين الخالق وخلقه، وأنه لا عصمة لأحد إلا للرسل – عليهم الصلاة والسلام – فيما يبلغونه عن الله – تبارك وتعالى–.

٤- إنَه ليس في الإسلام صراع أو خصام بين الدين والعلم، بل إن الإسلام يدعو إلى العلم النافع المثمر، ويحث عليه، كما أن الإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومجتمع ومكان.

٥- إن من أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي انحرافَ كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح، وسيطرة الاستعمار الغربي والشرقي على كثير من أقطاره عسكريًّا، وثقافيًّا، واقتصاديًّا، بالإضافة إلى إعجاب كثير من المسلمين بتقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي.

٦- إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمعات الأوروبية قد حولها إلى الإفلاس والحيرة والضياع، وحياة الضنك وعدم الطمأنينة، وذلك بسبب ابتعادها عن الإيمان بالله – تعالى– وشرعه، كما أنه كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات

الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم؛ وذلك لابتعادهم عن نور الكتاب والسنة.

٧- إن العلمانية تتعارض مع الإسلام تعارضًا تامًّا في شتى المجالات، ولا وجه للمقارنة بينهما على الإطلاق؛ وذلك لأن الإسلام نظام إلهي شرعه رب الخلق الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم، والعلمانية هي من وضع البشر وهم يخضعون للأهواء والشهوات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية التي تحيد بهم عن الحق والصواب.

هذا، وأسأل الله – تعالى – أن يعزّ دينه ويعلي كلمته، وأن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن يوفقنا وجميع المسلمين لما يرضيه، ويعافينا من أسباب غضبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.